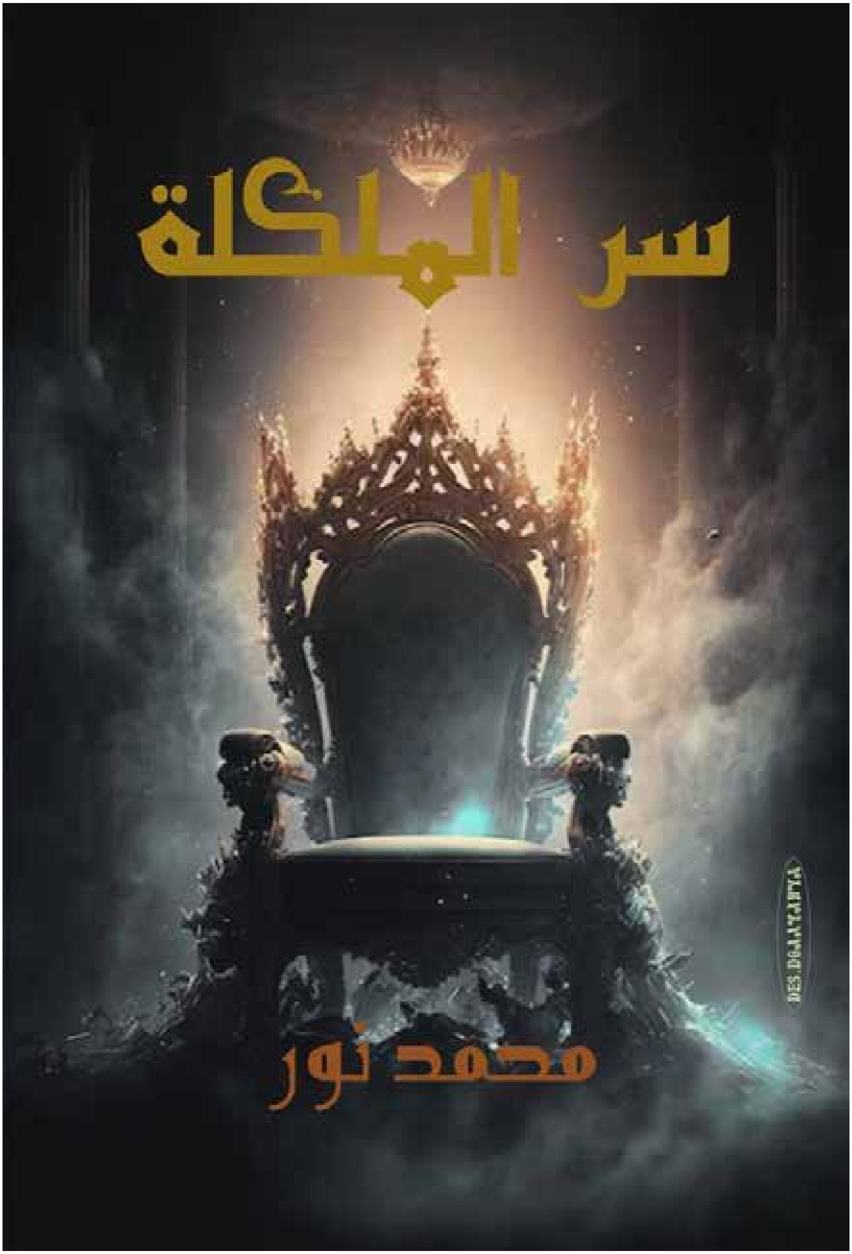

سر المملكة
محمد نور

سر الملكة (قصة قصيرة)

الخازندار للنشر الالكتروني

****

العنوان :جوار مدرسة اللواء رفعت عاشور الثانوية- ميت سلسيل- الدقهلية

هاتف : ٠١٠٠٠٠٩٩٣٩٠

العنوان: سر الملكة

الكاتب: محمد نور

اخراج فني: الخازندار للنشر الالكتروني

جميع حقوق النشر الالكتروني محفوظة للكاتب/ة تحت اشراف موقع الخازندار للنشر الالكتروني، و غير مسموح بنقله أو مشاركته أو نشره الكترونيا دون اذن مكتوب من الكاتب

أ الخازندار

سر المملكة

قصة قصيرة

محمد نور

السادس من ذي الحجة سنة ست مائة وثماني وخمسين من الهجرة..

عجز اللسان عن وصف المشهد الذي شهدته المحروسة عقب تمام صلاة الجمعة إلا كونه مشهد مهيب، لم تشهده المحروسة من قبل، وقد لا يتكرر فيما بعد..

السلطان الظاهر (بيبرس البندقداري) وإلى جواره شيخ الإسلام الشيخ (العز بن عبد السلام) على فرسين متجاورين وسط ركاب من الحرس السلطاني يخترقون شوارع المحروسة في الطريق الصاعد من مسجد عمرو بن العاص إلى قلعة الجبل، عقب مبايعة الشيخ (العز) للسلطان الظاهر، والأهالي مصطفين على الجانبين يهتفون بحياة السلطان الظاهر والشيخ (العز) في حماس.

كان السلطان قد أقسم أمام العامة أنه لن يصعد القلعة، ولن يجلس على العرش، إلا بعد مبايعة الشيخ (العز) له، وإثبات عتقه من العبودية، السلطان يعلم نفوذ الشيخ (العز)، وتعصب تلاميذه، وحماقتهم، وانسياق العامة وراءه؛ فلا سلطة ولا سلطان إلا بعد موافقة الشيخ على البيعة، العقبة الوحيدة أنه لم توجد مثل تلك الوثيقة قط، وقد أسقط في يده و يد رجاله، وما كان مثلي ليضيع تلك الفرصة؛ أنا الأمير فخر الدين إبراهيم الصالحي صاحب الشرطة، ومقدم درك المحروسة منذ أن أقامني عليها الملك العادل، لذا بعثت أحدهم يهمس في أذن السلطان بأنها ميسرة لو استعان بمقدم الدرك، ونسيان ما كان بيننا من تاريخ سابق.

وسبحان مسبب الأسباب، فقد عثر على ورقتي البيع والعتق في أوراق السلطانة (شجر الدر) المحفوظة بدار الشرطة، ما أن عهد لي بالأمان وإمارة الشرطة؛ وهكذا تمت بيعة الشيخ للسلطان، وأيقن السلطان أن بقائي كمقدم درك للديار، وصاحب شرطة المحروسة كل هذا الزمان لم يكن من فراغ.

في خطوات واثقة قوية اتجه (بيبرس) لعرشه قابضا على يد الشيخ، وأمراء المماليك ينحنون له حتى استوى في خيلاء على العرش، مجلسا الشيخ (العز) على ميمنته، فرفع الأمراء سيوفهم في الهواء تحية لسلطانهم مرددين من بعد أتابك العسكر:

- يحيا السلطان الظاهر، يحيا السلطان (بيبرس) يحيا السلطان الظاهر، حفظ الله

شيخ الإسلام...

أشار السلطان لهم فسكن هتافهم، وعم الصمت القاعة للحظات، وعيناي (بيبرس) تمسح وجوه من بالقاعة، كأنها تخترق جلودهم لتكشف حقيقة أرواحهم، قبل أن يلتفت للشيخ (العز) قائلا:

- يا شيخنا، وشيخ الإسلام، وقاضينا، ومفتينا قد عزمت أمرا، وأرجو أن تعينوني عليه.

ليتهدج صوته، ضاغطا على حروف كلماته في بطء، مراقبا إثرها على وجه الشيخ:

- ديار الإسلام بلا خليفة، والمسلمين بلا راع ...

بتنا كالقصعة المتهافت عليها النمل، و.

احتقن وجه الشيخ إذ ظن أن (بيبرس) سيطلب الخلافة لنفسه، فارتسمت ابتسامة ساخرة على وجهي متذكرا ما تم الاتفاق عليه بيني وبين (بيبرس)، والسلطان يستطرد مشيرا لي بطرف خفي للتقدم:

- لذا كنت أمرت مقدم درك الديار بالبحث عن ما تبقى من سلالة العباسية لإحياء الخلافة بالقاهرة ...

وكدوري المرسوم قلت في صوت غلبه الاحترام ممسكا نفسي عن الانقلاب على ظهري من شدة الضحك:

- حدث بالفعل يا مولاي، جهزت قائمة يراجعها علماء الأنساب، و بعثت بكتاتيب لأمرائنا بالشام بالبحث و التدقيق ...

انقلب احتقان وجه الشيخ لتأثر لم يستطع التغلب عليه؛ فنهض على فوره مقبلا رأس السلطان، وقد غلبته عبراته قائلا:

- لله درك يا بيبرس، لله درك.

أحنى السلطان رأسه للشيخ، ورد قبلة الرأس قبلة على يد الشيخ، ثم استطرد في ود واحترام قائلا:

- يا شيخنا وعيت خطبتك، وحفظت وصيتك، و عزمت على أن لا أقدم على أمر، أو أقطع في شيء إلا بعد أخذ رأى الشرع الحنيف، واستطلاع رأيك فهل تكن سندا لي، و للمسلمين ...

أشرق وجه الشيخ، وبات من الواضح أن السلطان قد سيطر عليه سيطرة كاملة، فعاد السلطان للاستطراد بعد أن تلون صوته بالقلق:

- لكن هناك أمر ضاق به صدري، و أقلق مضجعي فالعامة، ومنهم تلاميذك يرددون أننا أهل مؤامرة، ومنافسة على الملك، مسرفين بالدم، نفتك ببعضنا البعض لنصعد إلى القلعة، والذي نفسي بيده ما صار بيني وبين أخي (قطز) رحمه الله محمله سوء الظن ووسوسة الشيطان، وقد غفر لي (قطز) نفسه بشهادة الأمراء، و يعلم الله إني قد ندمت على فعلتي، واطمع أن يستجيب الله لتوبتي، وعلى عزمي تنفيذ وصية (قطز) في تطهير ديار المسلمين من التتر الكافرين، والصليبيين.

هز الشيخ رأسه قائلا في حيرة:

- ما الذى يرغب السلطان في قوله؟!

رد السلطان على الفور:

- إنما هي شهادة ارغب منكم في سماعها، لتعلم كيف يفتري علينا الناس، وكيف ينشر أعداء الإسلام، و المسلمين بين العامة الشائعات؛ يلوثوا بها سمعة الشرفاء ...

شهادة صاحب الشرطة الأمير فخر الدين إبراهيم الصالحي، مقدم درك الديار وصاحب شرطتها، أكثر أهل الأرض أمانة على المسلمين، وخشية من الله.

كنت أعلم أن (بيبرس) يحب (شجر الدر) كأم له، فقد كانت تعطف عليه وتعامله

كولدها، كما أعلم إن (بيبرس) داهية لذا فلابد من وراء قوله المفاجئ أمر، ترى ما هو؟

راح عقلي يبحث عن سبب لما سألني عنه السلطان لكن عقلي لم يصل لما يدور في ذهنه، لذا رحت أدقق في ملامحه لعل وعسى أن أصل لشيء لكن بلا جدوى.

ويبدو أن ما دار بعقلي قد دار بعقل الشيخ فقد ارتج القول على الشيخ فصمت، أو ربما يكون قد غمغم في سره بشيء، لكن السلطان لم يمهلنا وقت للتفكير؛ فأسرع بتوجيه الحديث لي:

- قل لنا يا مقدم، ما حقيقة مقتل الملك المعز والسلطانة المستعصمه بالله (شجر الدر) ، وما يشيعه الدهماء عن أم المنصور على؟

صحت في دهشة واستنكار كأن الانفعال غلبني فنسيت أصول اللياقة أمام السلطان:

- سبحان الله ولا حول و لا قوة إلا بالله، قتل؟!

ثم لذت بالصمت كأني أدركت فداحة جرمي، بعد أن حدجني السلطان بنظرة نارية، ووقفت ثابتا في انتظار سماح الشيخ والسلطان لي بالكلام، وذهني يستعيد ذكرى تلك الليالي السوداء.

**** **** ****

الثالث والعشرون من ربيع الأول لعام ست مائة وخمس وخمسين من الهجرة...

كنت مستغرقا في قراءة الكتاتيب الواردة لي من العيون، والبصاصين، و رجال العسس من كافة أقاليم المحروسة، والدولة شاعرا بالقلق من فحواها، ومن حماقة السلطان الذى تفرغ لمكايدة النسوان بالنسوان، فراح يجهز لعرسه من ابنة أمير الموصل؛ ليكيد بها (شجر الدر)، تاركا شئون الملك لكبير مماليكه الأمير (قطز)، و والله إن (قطز) أهلاً لها، أمين عليها، لكنه ليس من أهل الدهاء والتآمر، شغله حب الجهاد، سلبه حلمه بمقابلة التتر والثأر منهم لبه، فلم يلتفت لسعى الملكة

باستقدام المماليك الصالحية إلى قصرها، وبعثها الخدام لشراء المماليك من الأسواق سرا.

أواه، (شجر الدر)، هي المرأة التي تخلب بجمالها لب الناظرين، وتملكهم بسحرها، ورجاحة عقلها، هي الدنيا إذا ملكت قلبها، بل هي النعيم ذاته، والجحيم المستعر إذا عاديتها...

قطع على أفكاري حينها، اقتحام مساعدي (ايمن التركماني) للغرفة، لا أدرى ما سر تسميته بأيمن، فوالله ما يليق به إلا اسم البومة أو الغراب؛ إذ لا يأتيني إلا بكل خبر مشؤوم صارخا:

- كارثة... مصيبة ... يا مولاي

تمنيت لو كان سيفي بيدي لأطير رأسه، وأستريح من همه، وأخباره السوداء قائلا:

-قبحك الله قل ما وراءك.

طفرت الدموع من عينيه كالنسوة وبصوت غلبه البكاء والنواح قال:

-مات السلطان ...مات سلطان المسلمين (أيبك).

لم أشعر بالدهشة فقد كنت مدرك أن (شجر الدر) لن تدعه إلا مقتولا، ولكن كيف وهو بقصره عند (أم المنصور)!! فقلت في حذر:

- رحمه الله و كيف مات السلطان؟

أجاب وسط البكاء:

- مات أثناء نومه في مخدع السلطانة (شجر الدر).

أدركت أن السلطانة استدرجته لمخدعها، والأبله منى نفسه بليلة لن ينساها، غير مدرك أنها ستكون ليلته الأخيرة، المثير للحنق أن أحدا من رجالي لم يخطرني بذهاب السلطان إلى (شجر الدر)..

رحمه الله أراح واستراح.. الأزمة الآن في (قطز)، ومماليك السلطان فحتى ولو صدقوا بسبب وفاة السلطان فهم لن يتركوها تهنئ بالحكم، لذا استدرت الى مساعدي قائلا في حسم:

- جهز لي فرسي على الفور، واجمع كل ما تستطيع من الرجال، و لتلحقوا بي عند قصر السلطانة فلا وقت لدينا.

كان فرسي ينهب الأرض نهبا، داعيا الله ألا يسبقني (قطز) إلى السلطانة، وأن يحفظها من كل سوء، لكن ما أن وصلت الى القصر حتى أدركت انى وصلت متأخرا؛ فلقد ضرب رجال (قطز) الحصار حول القصر، ووقف أمامهم المماليك الصالحية التابعين للسلطانة يمنعوهم عن بوابات القصر.. ظهر أمامي مملوكا مغفلا يبدو انه لا يعرفني يقود بعض الجند يمنعني من اجتياز الحصار، بكل غضب الدنيا استللت سيفي صائحا فيه بمناداة (قطز)، وإلا أطرت رأسه بسيفي، ولحسن الحظ كفاني الله شر مؤنة القتال، ولمحنى (قطز) فأشار للجنود بفتح الطريق فأسرعت لملاقاته، وسيفي مازال بيدي، قائلا في خشونة:

- ماذا تنوى للسلطانة يا مملوك.

نظر لي (قطز) نظرة ابلغ من الكلام مشيرا للأمراء الثائرين من حوله، ثم قال في هدوء هامسا:

- ناشدتك الله أن تخفض سيفك، وأن تتبعني بعيدا عن أمراء الجند.

اتبعته لخيمة كان قد أعدها الجند على عجل للأمراء، وأمر كل من فيها بالخروج، فانتظرت إلى أن بتنا منفردين، وقلت في تقريع:

- أتنوى سفك دماء السلطانة يا (قطز) بغير ذنب؟! أهذا عهدك أمامي بأن لا تفسد في الأرض، وألا تسفك دم مسلم ابدأ؟ إلا تدرك أنك لن تتجاوز مماليك الصالح إلا على جثثهم!!

صمت (قطز) بضع لحظات ثم قال:

- تعلمني أكتر من نفسي يا أمير، والله ما كنت خائنا، ولا سافك للدماء، لكنك ترى ثورة الأمراء، ورغبتهم في رؤية جثة سلطانهم، وتكذيبهم لما إشاعته السلطانة عن وفاة السلطان أثناء نومه.

تطلعت إلى عينيه، كان (قطز) صادقا لا تكذب عيناه قط، فعاد لي هدوئي بعض الشيء قائلا له في رجاء:

-ألم أكفك شر (بيبرس)، وجنود (أقطاي) بعد مقتله على أيديكم أنت وأستاذك، الم اكن لك ناصحا ومعينا طيلة عمرى، خل بيني وبين السلطانة، امنحني الفرصة استبين فيها الحق، و لتسمح لرجالى بالدخول معي، و والله لن أخذلك أبدا.

قطب جبينه مفكرا قبل أن يقول في حسم:

- حسنا لكنني سأدخل معك الى القصر، حتى يهدأ الأمراء.

توجهت على الفور إلى قائد المماليك الصالحية طالبا في أدب ملاقاة الملكة، وإخطارها بأن الأمير (قطز) بصحبتي.

سمح لنا بالدخول على الفور، لكن الملكة رفضت أن يدخل (قطز) عليها مخدعها، سلمت سيفي بينما ظل (قطز) ينتظر خارج المخدع.. مسحت عيناي الغرفة كانت جثة السلطان مغطاة، وأن ظهر أثر لدماء خارجة من رأسه، بينما الملكة جالسة الى جوارها شاعرة بأنه سيغدر بها، فما أن رأتني حتى انهارت باكية، وظهر عليها الهلع قائلة وسط دموعها:

- لا ذنب لي يا فخر أنما قتله الخدم، أنت بمثابة ابن لي ربيتك في قصرى، وتعلم انى لو رغبت في قتله لكنت أعددت العدة لهذا.

ركعت إلى جوارها شاعرا بقلبي يكاد ينخلع أثر بكائها قائلا في صوت خفيض:

- لن يمسك أحد بسوء يا سلطانة إلا على جثتي فقط أخبريني بما حدث.

تماسكت قليلا وقد بعث حديثي ووجودي الى جوارها الأمل في قلبها قائله:

- اكتشفت أن للسلطان جنينا يتحرك في أحشائي، فبعثت إليه طلبا للصلح؛ املأ أن يثنيه خبر الطفل عن ما أنتوى من الزواج على، وأن يصلح ما بيننا من فجوة، وكنت أنوى مفاجئته بخبر حملي، فأرسل لي أنه سيأتيني ليلا لأنه اشتاق لي، أنه يحبني، ولم يحب أحد غيري.

فلما أتى تدللت عليه، وطلبت منه الاستحمام، وذهبت إلى مخدعي لأتطيب، وأتزين له، فلما طال به الأمد في الحمام ذهبت لاستعجاله فوجدته محطم الرأس، وقد فارقته روحه، وفر الخدم الذين كانوا معه فأمرت بحمله الى مخدعي، وأغلاق أبواب القصر، وأرسلت في طلبك، وكتمان ما حدث عن الجميع حتى حضورك، لكنى تفاجأت بحضور (قطز) والأمراء، وبصحبتهم الجند فعلمت أن خبر مقتل السلطان تسرب إليهم.

كنت أستمع إليها حائرا لا أدري ماذا افعل.. السلطان مقتول قد أستطيع التأثير على (قطز) وإقناعه بالتمهل للقبض على الخدم، ومعرفة الحقيقة لكن باقي الأمراء ماذا أنا فاعل بهم، وما الذي دفع الخدم لفعلتهم.. هي مؤامرة على السلطان والسلطانة، وأنى والله لأشم رائحة الحيزبون (أم المنصور) لكن ما السبيل إلى إثبات ذلك.

طال صمتي فعادت الملكة لبكائها وانهيارها صائحة في يأس:

- أنت لا تصدقني.

بكل صدق أجبتها:

- على العكس يا مولاتي، لكن حفظا لك لابد من كتمان خبر حملك، ووضعك تحت حراستي.

صاحت:

- تقصد حبسي

نظرت اليها قائلا في إشفاق:

- بل تحت حراستي بالبرج الأحمر لأضمن عدم المساس بك حتى أثبت براءتك، و كشف من وراء تلك المؤامرة، تعلمين منزلتي عند (قطز)، وأنه ليس بسافك للدماء أو خائن

خرجت من عند الملكة وأخبرت (قطز) بما نويت، والحق يقال إن (قطز) لم يكن ينوي إيذاء الملكة، راغب فقط في معرفة الحقيقة فأجابني لطلبي، وخرجنا من القصر عازمين على تنفيذ ما اتفقنا عليه، لكن ما إن خرجنا من القصر حتى فاجئنا بعض الأمراء بأنهم بايعوا (المنصور)، وانهم راغبين في رأس الملكة ليقيموا عليها حد الشرع.

لحظتها تأكدت أنا و (قطز) أن (أم المنصور) هي من وراء كل هذا، وأدركت أن (قطز) نفسه في خطر؛ ف (أم المنصور) تمقته، وتراه عقبة أمام حكم ابنها، فتوليت زمام الأمور، وأعلنت عن نقل السلطانة إلى البرج الأحمر بالقلعة، وأنها تحت حراسة الدرك حتى يحكم القاضي برأي الشرع.

لم أنم منذ تلك الليلة، أرسلت رجالي يفتشون عن الخدم فعثروا عليهم بمكان ليس ببعيد عن القصر، استجوبتهم بنفسي فاعترفوا بذنبهم، وقتلهم (أيبك) في الحمام ضربا وخنقا، وما كان (أيبك) يقتل ولو تكاثروا عليه في قتال، ولو شعر بغدرهم لصرعهم، لكنهم انتظروا حتى أسلم نفسه لهم لتدليكه، فخنقوه من الخلف، وضربوه على رأسه حتى الموت، زاعمين في اعترافهم أن السلطانة بعثت لهم من يحرضهم على القتل، وبذل لهم الثمن في المقابل، ووعدهم بالعتق..

هممت بالاستمرار في استجوابهم ولو كلفني الأمر وضعهم على الخازوق الواحد تلو الأخر؛ لمعرفة من ذلك الرسول لعلى أصل للخائن الحقيقي، لماذا تحرض السلطانة على قتل (أيبك) ومصلحتها في حياته، لكن رسولا أتى من عند الحيزبون (أم المنصور) يستدعيني في عجل فأسندت استجوابهم لمساعدي (أيمن)، وبعثت (لقطز) ما توصلت إليهم في رسالة مختومة على يد مخصوص، وأسرعت لمقابلة الحيزبون..

ساعتان من التعذيب، لم أسمع فيهما إلا نواح الحيزبون على بعلها الذي مات،

وشبابها المغدور، وخوفها من الأمراء، ومن (قطز)، واحتياجها لمن يقف الى جوارها، ثم راحت تعدد مناقبي؛ فما شعرت بتقزز من نفسي في حياتي، كما شعرت يومها، ثم لا شيء.. أمرت بانصرافي..

قاتلك الله يا بعيده.. أضعت وقتي فقط.

ذهبت على فورى الى دار الشرطة لأعلم الى ما وصل إليهم (أيمن)، لكنني وجدته جالس أمام الدار في انتظاري، ومعه حرس البرج الأحمر، فما أن شاهدني حتى أعلمني إن (قطز) بعث جنودا اصطحبوا العبيد لاستجوابهم، واستبدل جنودنا على البرج الأحمر.

تعجبت من سلوك (قطز) لكن المفاجأة انى وجدت (قطز) في ظهري يسألني لما تأخرت عليه في أرسال ما توصلت إليهم من معلومات، ولماذا أرسلت في طلبه بمفرده متخفيا.

شحب وجهي، وقد أدركت الملعوب، وقبضت على يد (قطز) قائلا في رعب:

السلطانة في خطر.. لا وقت لدينا اصحبني، وسأخبرك بكل شيء ونحن في الطريق..

كادت خيولنا تطير من على الأرض، ونحن نسارع في الوجهة الى القلعة لكن ما إن وصلنا حتى أدركنا أننا تأخرنا، فقد كان العبيد مقتولين، معلقة رؤوسهم على باب القلعة، وجسد السلطانة ملقيا تحت أسوار القلعة، وقد تشوهت ملامحها الجميلة إثر الضرب على وجهها..

وبينما أشاح (قطز) رأسه في ضيق مرددا:

- لا حول و لا قوة إلا بالله ، أنا لله و أنا اليهم راجعون.

كنت أبكي على من أحببتها بكل ذرة في كياني، ولم تر في غير ابنا لها، لقد حققت (أم المنصور) انتقامها فقتلت (أيبك)، وقتلت السلطانة، وبويع ابنها سلطانا على المحروسة، وقد تستطيع قتل (قطز) أيضا، وهو ما لن أسمح به لذا استدرت إلى

(قطز) ليدور بيننا حديث طويل..

مر على هذا التاريخ عامين، تخلصت فيهما من الأمراء الذين تأمروا على الملكة مع (أم المنصور)، ومن كل ما يمكن أن يهدد (قطز)، بينما تفرغ (قطز) بكل ما أوتي من قوة لإدارة شئون المملكة، وبناء جيش يمكنه من ملاقاة التتار المغول عندما يحين الموعد.. عامان لم انسي مليكتي يوما، بل رحت أفتش عن هذا الرسول.. الحلقة المفقودة.. الذي لم أستطع الوصول إليهم، كنت أرغب في أثبات براءة السلطانة، وبراءة ذمتها.. حتى كان هذا اليوم الذي أتى فيه رسل المغول إلى أبواب القلعة، فبعثت العيون لمعرفة إذا ما كانوا على اتصال مع أحد بالمحروسة، وكانت المفاجأة..

استدعيت (أيمن) الى دار الشرطة، وما أن مثل بين يدي حتى قلت في سخرية:

- قل لي يا (أيمن) كم دفعت للعبيد ليقتلوا(أيبك)؟

وقبل أن يستوعب (أيمن) انه قد تم كشف حقيقته كانت قبضتي تنطلق لتسحق وجهه،

كان (أيمن) منذ البداية جاسوسا للمغول، استغل الحرب المستعرة على السلطة في مصر لتصبح المحروسة لقمة سائغة في أيديهم، فدبر قتل (أيبك) مع الحيزبون (أم المنصور) مستغل ضعف عقلها وحماقتها، وهو من خطط لها لتستفرد بالملكة هي وجواريها، ليفتكن (بشجر الدر) ويقتلونها ضربا بالقباقيب.. قاتل الله الطمع في السلطان الذي يحيل البشر ألعوبة في يد أعدائهم، إلى عملاء لا بالمال بل بالغباء.

وفي اللحظة التي كنت اقبض فيها على الخائن، كان رجالي يقتادون (أم المنصور) وابنهما الى مصيرهما، و(قطز) يعتلي عرش القلعة.

**** **** ***

- يا مقدم قل ما عندك يا مقدم

أفقت من ذكرياتي على صيحة السلطان (بيبرس)، فرسمت على شفتاي ابتسامة قائلا:

- انزلق السلطان (أيبك) في الحمام، فسقط على رأسه، فخشي العبيد من غضبته، فهربوا وتركوه ينزف حتى فارق الحياة، أما السلطانة فلما حبست بالبرج الأحمر، ظننت انه سيتم قتلها، ومع تأخرنا لعدة أيام في القبض على العبيد، فقد استبد بها الخوف، فلما بعثنا لأطلاق سراحها، خشيت أن يقتادها الجند للجلاد، فهربت و راوغتهم دون أن تنتبه للفراغ بين أسوار القلعة فسقطت على رأسها.

نظر الى السلطان في عدم تصديق، ثم تألقت عيناه كأنه تذكر شيء ما، فقال في سخرية:

- و ماذا عن هذا المجنون المحبوس في الممارستان!! ويزعم انه (أيبك)، وأن (شجر الدر) و (أم المنصور) هن قاتليه.

أذاً هذا هو سبب السؤال، همس أحدهم في أذنه بأن أيبك ما زال موجودا، ولو أيبك موجود حقاً، قد لا يأمن بيبرس على سلطانه، هذا الرجل لا يترك أمر للمصادفة..

عدت لأشرد متذكرا تلك اللحظة عندما همست في أذن الجاسوس التتري:

- ربما تظن أنك ستقتل، قل لي يا عزيزي هل تتذكر ما فعلناه بمملوك (الكلبى)

اتسعت عينا (أيمن) في رعب صارخا في انهيار:

- الرحمة، اقتلني ...

قابلته بأعين لا تعرف إلا الحقد والمقت والرغبة في الانتقام قائلا في قسوة:

- لا رحمة لأمثالك اليوم.

هززت رأسي راسما على وجهي أشد علامات الأسف والأسى والحزن قائلا:

- هذا مساعدي (أيمن)، جن لما شاهد السلطانة تسقط بين أسوار القلعة فقد كانت عهدته، وقد حاول إنقاذها، لكنه ارتطم بشده بأحد الأحجار، فذهب عقله، ومنذ يومها يهتف إنه (أيبك) ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لم يحر السلطان قولا، فقلت صادقا:

- يا سيدى و لم سأكذب فالتاريخ في النهاية سيشهد بما لنا وما علينا.

(تمت بحمد الله)